اسم المادة:مسح آثاري ومدخل الى علم الاثار

مدرس المادة:م.م.مروان سهيل نجم

عنوان المحاضرة: أعمال المسح الأثري في النصف الثاني من القرن العشرين

تعد فترة الخمسينات من القرن المنصرم من أعظم العقود في اكتشاف آثار بلاد وادي الرافدين والمناطق الأخرى من الشرق الأدنى. إذا انتشرت حملات المسح الأثري والتنقيب على نطاق واسع في هذه المنطقة وأحرزت تقدماً كبيراً في ميدان البحث الأثري. وكانت التنقيبات المشتركة العراقية – البريطانية في تل حسونة، الواقع في ناحية الشورة نحو ٣٥ كم جنوب محافظة الموصل مساهمة كبيرة في هذا المجال . وقد تم اختيار هذا التل على نحو خاص من قبل السيد سيتون لويد ليعالج من خلاله مسالة عصور ما قبل التأريخ المبكرة في شمال بلاد الرافدين.

يقف عمل الأمريكي السيد روبرت بريدوود في مشروع جرمو في شمال العراق في مقدمة هذه الأعمال الرائدة، وقد شكل نقطة تحول في مجال البحث الأثري في عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين . وشمل المشروع قسماً كبيراً من المناطق والمواقع في شمال الرافدين، تم تحريها مع اهتمام خاص بتوضيح قضايا تتعلق بأصول الاستيطان والزراعة وتدجين الحيوانات، مستنتجاً أن أول تدجين للنباتات والحيوانات، لا يعقل أن ينشأ في مناطق لا توجد فيها حالة برية في العصر الحالي على الأقل، وعلى هذا قرر أن يجمع بين التنقيب والمسح للمواقع في التلال الممتدة بين جبال زاكروس حيث ما تزال توجد إلى الآن نماذج برية، والتي يمكن أن تكون مهنة الرعي والزراعة انتشرت منها إلى السهل.

كانت هذه التحريات الأولى في البحث عن مسائل التعاقب الطباقي والتحديد الحضاري. حيث يعتقد السيد بريدوود بأن العراق في عصور ما قبل التاريخ هو الأفضل في مجال البحث والفحص الأثري من بقية المناطق الأخرى من الشرق الأدنى، وإن كان هذا لا يعني أن التعاقب الطباقي في العراق قد اكتمل، ولا حتى أنه مفهوم على نحو كاف في أي جزء من أجزاءه، ولكنه بالمقارنة مع المناطق الأخرى، فإنه يكون مفهوماً إلى حد ما.

الاستكشافات الرئيسية تضمنت مواقع العصر الحجري القديم الأسفل في بردة بلكا وموقع بالي كورا من العصر الحجري القديم الأعلى، ومواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار كريم شهر وملفعات وكرد جاي، ومواقع العصر الحجري الحديث الفخاري، جرمو، وكرد علي، والخان، وموقع مطارة وموقع باناهاليك. هذه التنقيبات كانت تتميز جميعها بالرغبة الشديدة في التعرف على أساليب العيش والاقتصاد في مجتمعات الاستيطان في عصور ما قبل التاريخ في شمال العراق

وفي عام ١٩٦٢ حاول بريدوود التوسع في مشروع جرمو، فضم مجموعة من المناطق في جنوب شرق الأناضول، وأجرى عمليات مسح مكثفة في منطقة ديار بكر ووادي عرفة (Urfa) وسيرت (Sirit) بالتعاون مع جامعة استانبول.

وكان الهدف الأساس للمشروع هو الإجابة عن مجموعة من الأسئلة حول التحول من مرحلة جمع القوت إلى مرحلة إنتاج القوت في العصر الحجري الحديث

وفي نهاية الخمسينات من القرن الماضي بدأ الأمريكي السيد روبرت ماك آدمز (R. Adams) الأستاذ في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو بأعمال مسحأثرية واسعة، لكن نتائج هذه المسوحات لم ترى الضوء حتى عام ١٩٦٥ Land Behind Baghdad. A History of ( : عندما نشرها في كتاب Settlement on the Diyala Plains) الذي ترجم للعربية في بغداد عام ١٩٨٤ كانت الإسهامات التي أضافها السيد آدمز لجوانب البحث الأثري في بلاد وادي الرافدين منقطعة النظير لناحية تضمينها لجوانب تفسيرية وتصويرية وعدم اقتصارها على النواحي التنفيذية فقط. وقد أشاد الباحث يوفي (Yoffee) بإعمال آدامز وقال : «إن أعمال آدامز تنبثق من عمل حقلي شاق تكون فيه عملية تركيب المعارف المتباينة من السعة والتنوع بحيث لم يكن بالإمكان لأحد تصورها أو مجاراته فيها»

إن مكتشفات الاستطلاع الآثاري المكثف ( غير المسهب الذي أجراه جاكوبسين في منطقة ديالي في عام ۱۹۳۷ ، الذي أشرنا إليه أعلاه، كانت هي المرجع الرئيس المعلومات مهمة آدمز في المنطقة نفسها. حيث يذكر آدمز أن جاكوبسين أتاح للقائمين بعمليات المسح في سنتي ١٩٥٧ - ١٩٥٨ الاطلاع على الوثائق التامة لعمليات الاستطلاع السابقة التي غطت ۱۱۹ موضعاً تقع في الجزء الأوسط والشمالي من سهل ديالي.

إن الخبرات الأولى التي اكتسبها آدامز والمتعلقة بالمسوحات الأثرية لبلاد وادي الرافدين قد تحققت خلال الأعوام ١٩٥٦ - ١٩٥٧ بعد عمله مع فون كروفورد ( Crawford ) وقيامهم بإجراء المسوحات الآثارية لمنطقة (أكد) شمال بابل. إلا أن التقدم المفاجئ الرئيس تحقق في المسوحات التي أجريت في الأعوام ۱۹۵۷ - ۱۹۵۸ في منطقة ديالى شمال شرق بغداد. وكان الدافع الرئيس وراء إجراء هذه المسوحات، هو رغبة الحكومة العراقية بإجراء فحص آثاري لحوض نهر ديالي من أجل تشخيص ما مارسه الأقدمون في الري والزراعة، وبصورة أخص في ما اتخذوه من ترتيبات في تصريف ملوحة التربة. حيث تبدو الأرض سبخة ومهجورة، وفيما إذا كانت هناك إمكانية لإرجاعها لوضعها السابق المتمثل بالنشاط الزراعي.

إن عملية المسح الأثري التي أجراها السيد آدامز ارتكزت على قاعدتين أساسيتين ونجحت في إثباتهما : بما أن المواضع القديمة تقع بالضرورة قريبة جداً من المجاري المائية التي تعتمد عليها لذا يمكن رسم مجاري الأنهار والجداول المندثرة بصورة تقريبية من مواضع أو أطلال ملاصقة لها.إن مدد الاستيطان في المواضع القديمة يمكن أن تحدد من اختيار بقاياها السطحية. كما يمكن أن يطبق ذلك بالنسبة للمجاري المائية التي كانت تربط بينها أيضاً.

عمل آدمز على تعزيز التقنيات التي كان كل من جاكوبسين ومالوان ولويد قد طبقوها من قبل خلال الثلاثينات من القرن المنصرم وذلك من خلال إدخال تقنيات المسح الجوي وعمليات مسح التربة على العمل. وقد اعتمدت طرق الاستطلاع التي تم تطويرها، تلبية لمتطلبات هذه الدراسة، اعتماداً كبيراً على سلسلة خرائط ذات مقياس كبير (۱ : ۱۰۰۰۰) أعدتها مديرية المساحة العامة في العراق، وألحقت بها خريطة مناسيب ) خريطة كنتورية)، الفاصل الكنتوري فيها (م، وخرائط لمسح التربة بمقياس (٥٠٠٠٠:١) . وقد أصبح في ضوء هذه المراجع مجتمعة، من الممكن التعرف على أكتاف الجداول الرئيسة القديمة وعلى الغالبية العظمى من المواضع القديمة أيضاً. وقد رسمت خرائط معظم المواقع بدقة دون الرجوع إلى الصور الجوية.